

الامامة والسياسة

[72] وحمل الاشر النخعي وهو يريد عائشة، فلقية عبد الله بن الزبير، فضربه، واعتنقه عبد الله فصرعه، وقعد على صدره، ثم نادى عبد الله: اقتلونني ومالكاً (1). فلم يدر الناس من مالك فأنفلت الاشر منه، فلما رأى كعب بن سور الهزيمة، أخذ بخطام البعير، ونادى: أيها الناس، الله الله. فقاتل وقاتل الناس معه، وعطفت الازد على اليهودج، وأقبل علي وعمار والاشر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله، حتى حال بينهم الليل، وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام، وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم، فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء. وقال: اللهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى، قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه، فخر وثبتت عائشة، وحماها مروان في عصاية من قيس ومن كنانة وبنى أسد، فأحرق بهم علي بن أبي طالب، ومال الناس إلى علي، وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف، وقطع يده، حتى قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة، حتى إن مروان من خلفه، ف ضرب ضربة فوق، وعرقب الجمل الذي عليه عائشة. وانهزم الناس، وأسرت عائشة، وأسر مروان بن الحكم وعمر بن عثمان، وموسى بن طلحة، وعمر بن سعيد بن العاص، فقال عمار لعلي: يا أمير المؤمنين، اقتل هؤلاء الاسرى. فقال علي: لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع. فدعا علي بموسى بن طلحة، فقال الناس: هذا أول قتيل يقتل، فلما أتى به علي قال: تباع وتدخل فيما دخل فيه الناس؟ قال: نعم. فباع وباع الجميع وخلق سبيلهم، وسأل الناس علياً ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه، ثم أمر المنادي فنادى: لا يقتلن مدبر، ولا يجهز على جريح، ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة، وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض الله. فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تحل لنا أموالهم، ولا تحل لنا نسائهم ولا أبناؤهم؟ فقال: لا يحل ذلك لكم. فلما أكثروا عليه في ذلك: قال اقترعوا، هاتوا بسهامكم ثم قال: أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه؟ فقالوا نستغفر الله. فقال: وأنا استغفر الله. قال: ثم إن علياً مر بالقتلى، فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع في القتلى، وكان يسمى السجاد، لما بين عينيه من أثر السجود. فقال: رحمك الله يا محمد، لقد كنت في العبادة مجتهداً آناء الليل قواماً، وفي الحرور صواماً، ثم التفت إلى من حوله فقال: هذا رجل قتله برأيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل؟ فشهدت عائشة

(1) يريد عبد الله بن الزبير يمالك: الاشر،

وهو بذلك يشير إلى قول الشاعر: اقتلونني ومالكاً: واقتلوا مالكاً معي. (*)
